

السلسلة الماسية في نصره الصادق الأمين....وسيرته القدسية
الحلقة (١٢)

سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)

مواقف وعبر

بقلم

حجة الإسلام والمسلمين

السيد يوسف الحسيني

مقدمة لجنة البحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

إنَّ الأمة الإسلامية إذا أرادت أن تنهض وأن يكون لها شأن بين الأمم عليها أن ترجع إلى دينها وإسلامها فتجعل منه الحافز لها لاستنهاض أبنائها وتغيير حالها ، وتجعل من قادة الإسلام وهم محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) القدوة والأسوة الحسنة في سلوكها وعملها حتى تستطيع أن تعرف الإسلام الحقيقي حقَّ معرفته ، ولا تكون تلك المعرفة إلا بأن نطلع على حياة وسيرة السيد الأكبر وعترته الطاهرة (صلوات الله عليهم أجمعين) ، ونحن نعيش اليوم هجمة شرسة على الإسلام ونبى الإسلام وأهل بيته الطاهرين وكلِّ ما يرتبط بالإسلام من رموز وشخصيات ومواقف وأخلاق. ويقود هذه الهجمة أئمة الكفر والانحراف ممن يحاربون الدين والأخلاق ، وهم يحملون الادعاء الكاذب بأن الدين لا

يصلح لتنظيم حياتنا ، وهو ادعاء لا يمت إلى الواقع والحقيقة بصلة أبداً ، وأيضاً يشترك في هذا من يدعي الإسلام زوراً وبهتاناً وهو أبعد ما يكون عنه ، وإلا كيف يدعي شخص أنه مسلم وتراه يُسيء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (صلوات الله عليهم) ، وهذا القرآن تصدح به الحناجر آناء الليل وأطراف النهار بوجود أتباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحبّ عترته ولزوم الأخذ عنهم . وكذلك كانت سنة النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) التي أكّدت هي أيضاً وأوجبت على كلّ مسلم حب العترة وأخذ معالم الدين منهم لا من غيرهم وعنهم لاعن غيرهم. لكنها مزالقة الشيطان ومهاوي الباطل هي التي تحرف المسلمين عن جادة الصواب والرشاد. ولعلّ من أهم أسباب الابتعاد عن أخلاق الإسلام هو عدم التتورّ بنور الإيمان وسنة النبي المختار (صلى الله عليه وآله وسلم).

من هذا المنطلق ولأجل إيصال سيرة المصطفى وأخلاقه وتعامله مع أهل بيته وأزواجه وأصحابه إلى المسلمين من أجل الاطلاع على تلك الأخلاق الطاهرة والسيرة العطرة له (صلى

اللّٰه عليه وآله وسلّم)، وجّه سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد الصرخي الحسني (دام ظلّه الشريف) المؤمنين الأخيار بالكتابة والتأليف في هذا المضمار من أجل أن يطّلع الجميع على هذا التراث القيّم ويعرفوا تلك الصفات والأخلاق العظيمة التي اتّصف بها النبي الأكرم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم). واستجاب المؤمنون الصادقون لذلك النداء، وكان ممن استجاب لذلك سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد يوسف الحسيني (دام عزه) في هذا البحث القيّم. نسأل الله تعالى أن ينفعه به في الدنيا والآخرة وأن يشفّع فيه النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوم الظمأ الأكبر.

ويصلح هذا البحث لأن يكون الحلقة (١٢) من السلسلة الماسية في نصره الصادق الأمين وسيرته القدسية.
والحمد لله رب العالمين.

لجنة البحوث والدراسات في الحوزة العلمية المقدسة
النجف الاشرف

الإهداء

إلى سيدي ومولاي قائم آل محمد (عجل الله فرجه)
بمناسبة تتويجه إماما على الخلق.....

إلى معلمي وأستاذي ومرجعي نائب الإمام بالحق
سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد
الصرخي الحسيني (دام ظله المبارك).

إلى شهداء المرجعية الصادقة، وكل الأخيار الأنصار
من الرجال والنساء.

إلى والدي وأهل بيتي.

أهدي ثواب هذا الجهد القليل، سائلا المولى جل وعلا،
أن يتقبله بأحسن قبول بحق محمد وآله الطيبين
الطاهرين، إنه سميع مجيب.

الدعاء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَكَلَّمَ بِاللَّهِ شَهِيدًا * مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
كَزُرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يُعْجَبُ الْزُرَّاعُ
لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح/٢٨-٢٩.

اللهم صلِّ على محمد أمينك على وحيك، ونجيبك من خلقك،
وصفيك من عبادك، إمام الرحمة، وقائد الخير، ومفتاح البركة،
كما نصب لأمرك نفسه وعرض فيك للمكروه بدنه، وكاشف في
الدعاء إليك حامته، وحارب في رضاك أسرته، وقطع في إحياء
دينك رحمه، وأقصى الأذنين على جحودهم، وقرب الأقصيين
على استجابتهم لك، ووالى فيك الأبعدين وعادى فيك الأقربين،

وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك وأتعبها بالدعاء إلى ملكك،
وشغلها بالنصح لأهل دعوتك، وهاجر إلى بلاد الغربية ومحل
النأي عن موطن رحله، وموضع رحله، ومسقط رأسه، ومأنس
نفسه، إرادة منه لإعزاز دينك، واستنصاراً على أهل الكفر بك،
حتى استتب له ما حاول في أعدائك واستتم له ما دبر في
أوليائك، فنهد إليهم مستفتحاً بعونك، ومتقوياً على ضعفه
بنصرك، فغزاهم في عقر ديارهم، وهجم عليهم في بجموحه
قرارهم، حتى ظهر أمرك، وعلت كلمتك، ولو كره المشركون.

المقدمة:

إنَّ الهدف من تناول هذا الموضوع، هو أن نأخذ من حياة وسيرة هذا الإنسان المقدَّس الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلّم) الدُّروس والعِبَر، ونتأسَّى بما مرَّ به وتعرَّض إليه، من صعاب ومشاقّ، حتى من المقربين النسيبين (أبو لهب، مثلاً)، عندما طرح ذلك المنهج الإلهي العالمي والذي جاء به من الله تعالى لخدمة الإنسانية وانتشالها من الظلمات إلى النور الإلهي. وكان الناس آنذاك يعيشون الحياة البهيمية، وبيتعدون عن الغرض والهدف الحقيقي من خلقهم ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وتكريمهم بالتححرر من كل أشكال العبودية إلا لله تعالى، والإرشاد إلى المنهج الذي توجَّب عليهم أن يتبعوه في التعامل فيما بينهم كبشر، إذ لم يكن يحكمهم إلا منطق الغلبة، بين ظالم قوي ومظلوم ضعيف، فضلاً عن الاضطهاد النفسي الذي كانت تتعرض له بعض الطبقات. وقد وصف حالهم جعفر ابن أبي طالب (عليه السلام) لحاكم الحبشة النجاشي، قائلاً: «أيها الملك، كُنَّا قوماً

أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي من الضعيف، فكنا على ذلك».

ولو كانت هناك علاقة تربطهم فما هي إلا العصبية والتعصب، وشعارهم (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) فيكفي لهم أن يكون أحدهم من عشيرتهم أو مقربيهم ليكون ذلك دافعاً للظلم أو حتى للقتل، فيتحقق مضمون ذلك الشعار البائس.

ونريد أيضاً أن نلتزم بما جاء به وأمرنا به (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونتعلم منه معنى التضحية في سبيل الإسلام.

هذا مع إنا مهما أجهدنا أنفسنا نشعر بالتقصير تجاه هذا الانسان المقدس، لان عظمته (صلى الله عليه وآله وسلم) أكبر من أن تعرف على حقيقتها، ولأن أخلاقه فوق الأخلاق، وعقله فوق العقول، ومقامه أكبر من يدركه الواصفون. ويكفي في تصور بعض

ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم - ٤.

وكان مما بشر به الأنبياء السابقون (عليهم السلام) أن هذا النبي هو الذي يقود حركة الحياة بروح التوحيد التي كان عليها الأنبياء جميعاً. فهو المحقق لما عملوا، وجاهدوا، وضحوا. فكانت إرادته أقوى من أن يقف أمامها شيء، وهو القائل لعمه أبي طالب:

((والله يا عم لو وضعوا الشمس بيمينى والقمر بيسارى على أن اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله تعالى أو أهلك دونه)).
ومن الجوانب المهمة في حياة الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو جانب الكفاح المسلح، الذي لم يفترق عن الممارسات الرسالية التي دأب عليها الرسول فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يتعدّد في الأساليب وحسب المواقف، وذلك ما نادى به القرآن الحكيم في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ النحل/١٢٥، وفي آية كريمة أخرى يقول (جل وعلا): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً...﴾ التوبة/١٢٣.

إذ كان يجيئ الجيش الجيوش ويؤلف السرايا، بعد أن أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار. وكان يخوض الحروب ويقودها بنفسه القديسة مع ما فيها من الخطر والحقد والعنف الذي يحملة أعداءه، فلم يكن ذلك ليعوقه عن المضي في طاعة الله، بل زاده إصراراً على نصرته الحق وتحقيق إرادة الله تعالى. ولم يرهبه ما كانت تخطط له قريش مع القبائل أو مع اليهود، بل كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقابلهم بما يفسد خططهم،

ويكشف نواياهم بما يسلح أصحابه باليقين بالنصر، وبسط النفوذ
والثقافة الإسلامية.

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أسوة حسنة

الأسوة الحسنة

إن الغاية المنشودة من معرفة سيرة نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هي أن نأخذ منها الدروس والعبر ونتأسى ونلتزم بما جاء به وأمر به، ونتعلم منه معنى التضحية في سبيل الإسلام، وأن لا نلین أو نضعف أمام المغريات، فيكون لنا الرمز والقدوة والمثال الأعلى في هذه الحياة الصعبة.

والقرآن يسمي عهد العرب المتصل بظهور الإسلام بالجاهلية، وليس هذا إلا إشارة منه إلى أن الحاكم فيهم يومئذ الجهل دون العلم، وأن المسيطر عليهم في كل شيء هو الباطل دون الحق، وكذلك كانوا، على ما يقص القرآن من شؤونهم. وتظهر لنا حقيقة حالهم في الوصف الذي ذكره جعفر بن أبي طالب، عندما خطب أمام النجاشي ملك الحبشة، حيث وصف أحوال الجاهلية، فقال:

«أيها الملك، كُنَّا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منَّا الضعيف، فكُنَّا على ذلك». فهذه حقيقة العرب قبل الإسلام.

لكن وقتئذٍ أشرقت الدنيا وأطلت على الكون نفحات من نور الله تعالى لتنتفض الإنسان من ويلات الجاهلية ومآثم حياتها. إنها الرحمة الكبرى التي أفاضها الله تعالى. فقد ولد سيد النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي ملأ الدنيا نوراً وعلماً وفكراً، وقد بدت عليه أسارير النبوة. فكان وجهه الشريف كالقمر في تمامه. وكان آية من آيات الله تعالى في جماله وبهاء منظره، فلم يرَ الرءاؤون مثله في روعة منظره وجمال صورته. ومن أبرز الصفات الرفيعة الماثلة في شخصيته سمو الأخلاق، وقد أثنى الله تعالى عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم/٤ وقوله وهو الصادق الأمين: (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وكان لا يتكلف ولا يتصنع، بل يدعو ويقول: (اللهم كما أحسنت خلقي فحسن خلقي).

مَوْقِفٌ وَعِبْرَةٌ:

وفاءً للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتعبيراً عن التزامنا بسنته وسيرته العطرة، لابد من استذكارها وتجسيدها وإحيائها في

تعاملاتنا وعلاقاتنا الحياتية اليومية؛ لأنّ الإيمان به وبدعوته لم يأتِ بالسيف إلا مع المعاندين، حيث آمن به وصدّقه الأعمّ الأغلب (والى يومنا هذا) بعد أن عرف قوّة حجّة دعوته المؤيّدّة بشخصيته الفذّة وأخلاقه الرسالية، في زمن كانت الجزيرة العربية تعيش أزمة أخلاق وانحطاط فكري فظيع.

محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) قبل خلق آدم (عليه السلام)

لقد قدّم الله سبحانه وتعالى محمّداً على جميع الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم أجمعين)، لفضله وشرفه وعظم دوره ومهمته. وخصّ نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى لأنهم أصحاب شرائع، وأخذ منهم الميثاق الغليظ في الإعلان بأن لا نبي بعده وأن رسالته خاتمة الرسالات.

ولقد قام أنبياء الله تعالى بهذا الواجب، وأجابوا الدعوة والانتصار لنبيّنا (صلى الله عليه وآله وسلّم) فكان المعبر عن تطلعاتهم (عليهم السلام) وكانوا يستبشرون ويبشرون بطلعته، ويتمنون أن يكونوا في زمانه. وقد حكى القرآن في مواضع كثيرة عنهم ذلك ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ

اللَّهُ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي
اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿الصف/٦﴾

وإن هذا الرسول الأُمي وهذه الأُمَّة هما دعوة وبشرى على
لسان إبراهيم الذي ما فتأ يطلب من الله أن يحقق للإنسانية
أهدافها في انبعاث دعوة جديدة وداع يزكّيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتْنَا أُمَّةً
مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا
وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة ١٢٧-١٢٩.

وقد استجاب الله تعالى لهذا النبي الكريم دعوته، فيتضح من
خلال هذا العرض القرآني أنّ نبينا (صلى الله عليه وآله وسلّم)
موجود في عمق النبوات، وهو رمز في صلب عملها العبادي
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي

التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
... ﴿ الأعراف/١٥٧.

وإن هذا النبي هو الذي يقود حركة الحياة بروح التوحيد التي دعا إليها أنبياء الله تعالى.

مَوْقِفٌ وَعِبْرَةٌ:

ولما كانت القضية بهذه الدرجة من الأهمية، وكان الرسل السابقون (عليهم السلام) يبشرون بها ويدعون إليها باعتبارها خاتمة الرسالات، إذن فالهدف من الرسل والرسالات يتحقق على يد هذا القائد العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم)، من العبادة الحقيقية وتنظيم أمور الأمة الإسلامية بما يوصلها إلى نيل مرضاة الخالق العظيم (جل شأنه).

أشباح نور حول العرش

عن قبيصة بن يزيد الجعفي قال: دخلت على الصادق (عليه السلام) وعنده ابن ظبيان والقاسم الصيرفي، فسلمت وجلست، وقلت: يا بن رسول الله، أين كنتم قبل أن يخلق الله سماءً مبنية، وأرضاً مدحية، وظلمة ونوراً؟

فقال (عليه السلام): كنا أشباح نور حول العرش، نسبح الله قبل أن يُخلق آدم (عليه السلام) بخمسة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم (عليه السلام) فرغنا في صلبه فلم يزل ينقلنا من صلب ظاهر إلى رحم مطهر حتى بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم).^(١)

أما كيف صار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه المنزلة وما هي ملاكاته في تفوقه على غير فهذا ما ستعرفه من خلال جملة من أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) والتي ترينا وتدلنا وتوقفنا على منهل النور الإلهي ومبعث الإشراق الربانية في عالمها المثالي النوري.

(١) تفسير فرات الكوفي / ص ٢٠ صلى الله عليه وآله وسلم.

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ في النبوة ﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ في أصلاب النبيين». (١)

وعن أبي الجارود قال: «سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قوله عز وجل: ﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: يرى تقلُّبه في أصلاب النبيين من نبيٍّ إلى نبيٍّ حتى أخرجته من صلب أبيه، من نكاح غير سفاح من لدن آدم (عليه السلام)». (٢)

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَدٌ وَاحِدٌ تَفَرَّدَ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، فَصَارَتْ نُورًا، ثُمَّ خَلَقَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وَخَلَقَنِي وَذُرِّيَّ بِي، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ فَصَارَتْ رُوحًا، فَأَسْكَنَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ النُّورِ، وَأَسْكَنَهُ فِي أَيْدَانِنَا. فَنَحْنُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَاتُهُ، وَبِنَا أُحْتَجَّبُ عَنْ خَلْقِهِ. فَمَا زَلْنَا فِي ظِلَّةِ خَضِرَاءَ، حَيْثُ لَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ وَلَا

(٢) تفسير القمي / ج ٢ / ص ١٢٥.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٥ - ص ٣

ليل ولا نهار ولا عين تطرف نعبده ونقدّسه ونسبّحه قبل ان
يخلق الخلق».^(١)

وعن الصادق (عليه السلام) قال: «سُئِلَ رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلّم) بأيّ شيء سبقت ولد آدم؟ قال: إنّي أوّل من أقرّ
ببلى. إنّ الله أخذ ميثاق النبيّين وأشهدهم على أنفسهم ألست
بربكم؟ قالوا: بلى، فكنت أوّل من أجاب».^(٢)

وعن محمّد بن سنان قال: «كنت عند أبي جعفر الثاني (عليه
السلام) فأجريت إختلاف الشيعة. فقال: يا محمّد إنّ الله تبارك
وتعالى، لم يزل متفرداً بوحدانيتيه. ثمّ خلق محمّداً وعليّاً
وفاطمة، فمكثوا ألف دهر. ثمّ خلق جميع الأشياء فأشهدهم
خلقها وأجرى طاعتهم عليها، وفوّض أمورها اليهم. فهم يحلّون
ما يشاءون، ويحرّمون ما يشاءون ولمن يشاءون إلاّ أن يشاء الله
تبارك وتعالى، ثمّ قال: يا محمّد هذه الديانة التي من تقدّمها

(١) بحار الأنوار ١٥ : ٩.

(٢) الأصول من الكافي: ٢ : ١٢ ح ٣.

مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق خذها اليك يا
محمّد». (١)

مَوْقِفٌ وَعِبْرَةٌ:

إن هذه الرسالة هي الخاتمة ورسولها (صلى الله عليه وآله
وسلم) هو الخاتم، وديانته هي التي لا تلحقها ولا تنسخها
ديانة وهي التي لا بديل عنها، فلا بدّ من اتّباعها والتمسك
بها، وعدم الزيغ عنها؛ لأنّ من تقدّمها مرق، ومن تخلف
عنها محق، ومن لزمها لحق، ولا محيص عن ذلك، فاعتبروا
يا أولي الألباب!

(١) الأصول من الكافي ١: ٤٤١ ح ٥٠.

من خصائصه (صلى الله عليه وآله وسلم)

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أُعطيْتُ خمساً لم يعطها أحد قبلي؛ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلَّ لي المغنم، ونصرت بالرَّعب، وأُعطيْتُ جوامع الكلم، وأُعطيْتُ الشفاعة». (١)

عن الصادق عن أبيه عن جدّه عن أبيه (عليهم السلام) قال: «سُئِلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أين كنت وآدم في الجنّة؟ قال: كنت في صلبه، وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النَّار في صلب أبي إبراهيم (عليه السلام)، لم يلتق لي أبوان على سفاح قطّ. ولم يزل الله عزّ وجلّ ينقلني من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة، هادياً مهدياً حتّى أخذ الله بالنّبوة عهدي، وبالإسلام ميثاقي، وبين كلّ شيء من صفتي، وأثبت في التوراة والإنجيل ذكرى،

(٢) الخصال ١: ٢٩٢.

ورقا بي إلى سماءه، وشقّ لي إسماً من أسمائه، أمّتي الحمّادون،
فدو العرش محمود وأنا محمّد»^(١).

عن ابن عباس قال: «قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم):
ان الله عزّ وجلّ قسّم الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً،
وذلك قوله عزّ وجلّ في ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال،
وأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثمّ جعل
القسمين أثلاثاً، فجعلني في خيرهما ثلثاً. وذلك قوله عزّ وجلّ:
﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا
أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ وأنا من السابقين، وأنا
خير السابقين، ثمّ جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها
قبيلة، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فأنا أتقى ولد آدم، وأكرمهم على الله جلّ
ثناؤه ولا فخر، ثمّ جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً،

(١) أمالي الصدوق: ٤٩٨.

وذلك قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ - الأَحْزَابُ/ ٣٣»^(١).

عن أبي بصير عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين
(عليهم السلام) قال: «إن أبا ذر وسلمان خرجا في طلب رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ففيل لهما إنه توجه إلى ناحية
قبا، فاتبعاه فوجداه ساجداً تحت شجرة، فجلسا ينتظرانه حتى
ظننا أنه نائم فأهويا ليوقظاه فرفع رأسه اليهما ثم قال: قد رأيت
مكانكما، وسمعت مقالتكما، ولم أكن راقداً، إن الله بعث كل نبي
كان قبلي إلى أمته بلسان قومه، وبعثني إلى كل أسود وأحمر
بالعربية، وأعطاني في أمتي خمس خصال لم يعطها نبياً كان
قبلي: نصرني بالرعب، تسمع بي القوم وبينني وبينهم مسيرة
شهر فيؤمنون بي، وأحل لي المغنم، وجعل لي الأرض مسجداً
وطهوراً، أينما كنت منها أتيمم من تربتها، وأصلي عليها،
وجعل لكل نبي مسألة فسأله إياها، فأعطاهم ذلك في الدنيا،

(١) الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٧٢٩ - ٧٣٠

وأعطاني مسألة فأخّرت مسألتني لشفاعة المؤمنين من أمتي يوم
القيامة ففعل ذلك، وأعطاني جوامع الكلم، ومفاتيح الكلام، ولم
يعط ما أعطاني نبياً قبلي. فمسألتني بالغة إلى يوم القيامة لمن لقي
الله لا يشرك به شيئاً مؤمناً بى موالياً لوصيي محبباً لأهل
بيتي». (١)

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أظهر الله تبارك
وتعالى الإسلام على يدي، وأنزل الفرقان عليّ وفتح الكعبة على
يدي، وفضلني على جميع خلقه، وجعلني في الدنيا سيّد ولد آدم،
وفي الآخرة زين القيامة، وحرّم دخول الجنّة على الأنبياء حتّى
أدخلها أنا، وحرّمها على أممهم حتّى تدخلها أمتي، وجعل
الخلافة في أهل بيتي من بعدي إلى النّفخ في الصّور، فمن كفر بما
أقول فقد كفر بالله العظيم» (٢).

(١) أمالي الطوسي ١: ٥٦، ٥٠.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٦ - ص ٣٢٦

ملاحم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أشجع، وأحلم، وأعدل، وأعف، وأسخى الناس جميعاً، وكان لا يبيت عنده دينار ولا درهم. وكان أزهد الناس، وأبسطهم في العيش، حيث كان يخصف النعل ويرقع الثوب، ويخدم في البيت مع سائر أهل بيته. وكان أشد الناس حياءً، فلا يثبت بصره في وجه أحد أبداً.

وكان أسمح الناس وأسهلهم. وكان يجيب دعوة الحر والعبد، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن، ويكافئ عليها أحسن مكافأة. وكان لا يستكبر عن إجابة أمةٍ أو مسكين.

وكان يغضب لله ولا يغضب لنفسه؛ ويجري حكم الله وإن تضرر هو أو أحد من أصحابه به. فقد أشار عليه أصحابه ذات مرة بأن ينتصر على أعدائه المشركين بسائر المشركين. فأبى قائلاً: إنا لا نستنصر بمشرك.

مع أنه كان أحوج ما يكون إلى ذلك.

وكان من أخلاقه الفياضة: أن يهوديا كان حاقدًا عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد بالغ في الاعتداء فكان يلقي التراب

والرماد على داره. ومرض اليهودي، فطرق النبي باب داره، فخرجت زوجته. فقال لها (إن زوجك عودنا بعادة وقد انقطع عنها وأنا احتمل انه مريضا)، وقد جئت لعيادته، فأذنت له بالدخول عليه. فلما رآه اليهودي بهر وراح يقول: هذه أخلاق الأنبياء واسلم.

وجمع أخلاق النبي في هذه الرائعة ابن عمه ووصيه (صلوات الله عليهما والهما) فقال: «ما صافح أحد رسول الله قط فنزع يده، وما فاضه احد في حاجة أو حديث فانصرف، حتى يكون الرجل ينصرف، وما نازعه الحديث احد حتى يكون هو الذي يسكت، وما رئي مقدماً رجله بين يدي جليس له قط، ولا عرض له أمران إلا اخذ بأشدهما، وما انتصر لنفسه من مظلمة حتى تنتهك محارم الله فيكون حينئذ لله تبارك وتعالى. وإذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه وإذا رايته قلت: أفلج الثنيتين وكان نظره اللحظ بعينه، وكان لا يكلم احد بشيء يكرهه، وكان إذا مشى ينحط من صعب، وكان يقول إن خياركم أحسنكم أخلاقاً، وكان لا يذم نواقاً ولا يمدحه، ولا ينازع أصحابه الحديث، وكان

المحدث عنه يقول: لم أرَ بعيني مثله قبله ولا بعده.....» (١).

مَوْقِفٌ وَعِبْرَةٌ:

وهنا رسالة واضحة وصريحة، إلى كل الناس والقادة خاصة، أن يتصفوا بالشجاعة التي تؤهلهم لقول كلمة الحق بغض النظر عن النتائج المترتبة عليها، وأن يكونوا من ذوي الحلم والإنصاف والسَّخَاءِ، وأن لا يغضبوا إلا لله، وأن لا يستنصروا بمشرك، فهذه أخلاق الأنبياء.

(١) نهج البلاغة.

سماحته وحلمه (صلى الله عليه وآله وسلم)

يُروى أَنَّ (بجير بن زهير) أسلم فعلم أخوه (كعب) فكتب إليه رسالة يؤثبه على إسلامه ويبالغ في التنديد به وكتب في آخر رسالته أبياتا من الشعر منها:

ألا أبلغا عني بجيرا رسالة

فهل لك في ما قلت ويحك هل لك

ففارقت أسباب الهدى وتبعته

على أي شئ ويل غيرك ويلكا

وخف بجير إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فشكا أخاه، وقرأ عليه شعره، فتألم النبي وأهدر دمه. فكتب إليه بجير بذلك، وأعلمه أَنَّ النبي يقبل من جاء اليه تائباً، ولا يطالبه بما عمل قبل الإسلام.

ولما انتهى الكتاب إلى كعب، فزع إلى أسرته وطلب منهم حمايته، فلم يستجب له احد. وبادر مسرعاً إلى المدينة، ونزل ضيفاً عند الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فأتى به الإمام إلى المسجد. وقال له: هذا رسول الله قم إليه واستأمنه،

فانبرى نحو النبي ورفع عقيرته وقال: يا رسول الله أنا كعب ابن زهير.

ووثب اليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه. فنهزه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: (دعه فقد جاء تائباً)، وانبرى كعب وأنشد رائعته قائلاً:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أُوْعِدُنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلٌ
لَا تَأْخُذُنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
وَمَا قَالَ:

إن الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول^(١)
خلع عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بردته وقابله بمزيد
من التكريم.

(١) أعيان الشيعة: ٢٩/٩.

موقف وعبرة:

والسماحة والحلم من الخصال التي لا بد أن يتّصف بها المسلم العامي، فضلاً عن الخواصّ الذين يتقلّدون هذا المنصب الإلهي (قيادة الأمة). ورسولنا (صلى الله عليه وآله وسلّم) هو من أسس مبدأ ضرورة أن يتعامل القائد مع مختلف الناس بحسب عقولهم المختلفة، فلا يصلح للقيادة من لا يمتلك الحلم والسماحة.

حياة (صلى الله عليه وآله وسلم)

قال أبو سعيد الخدري: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اشد حياءً من العذراء في خدرها»، ولما نصره الله تعالى بالفتح المبين، بدخول مكة التي كانت قلعة للوثنية ومركزاً للقوى المعادية له، دخل فاتحاً تحفه قواته المسلحة، وهو مطأطأ برأسه إلى الأرض، خجلاً وحياءاً من قريش التي جهدت في مناجزته، ولف لواء رسالته. مخاطبهم (إذهبوا فأنتم الطلقاء) وكان من حياءه، أنه لم يصرح باسم من يكرهه، وإنما يقول: (ما بال أقوام يقولون كذا، أو يصنعون كذا). ويقول: ((إن الله إذا أراد هلاك عبد نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء، لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً، فإذا لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً، نزع من الأمانة، وإذا نزع من الأمانة، لم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً، نزع من الرحمة، فإذا نزع من الرحمة، لم تلقه إلا رجيماً ملعناً، فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً، نزع من ربة الإسلام)). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) ((الحياء والإيمان مقرونان في قرن واحد فإذا سلب احدهما تبعه الآخر)).

قوة الإرادة

من المؤكد في علم النفس أنّ قوّة الإرادة من أكثر الصفات التي يتحلى بها الانسان تميّزاً، وقد كتب الخلود لبعض الشخصيات التي دخلت معترك الحياة وفي ميدان الصراع المسلح مع القوى المناهضة لها، أمثال غاندي، وهو لا يملك أية صفة سوى هذه الظاهرة.

وقد دخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) في صراع رهيب مع القوى الجاهلية المتعترسة والمنحطة فكرياً، فدمّر جميع معالمها وقضى على أعمدتها، وذلك بقوة إرادته وصلابة عزمه، مع ما تمتع به من الصفات القدسية المشرقة. وقد تسلحت قريش بقواها المادية ودخلت ميدان الصراع مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم)، فلم يحفل بهم ولم تخفّه وحدته وقلة من آمن به من المستضعفين الذين لم يكن لهم ركن شديد يأوون إليه. وراح النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) مع قلة الناصر يملئ على صفحات الكون إرادته التي لا يقف أمامها شيء، قائلاً لعمه أبي طالب: ((والله يا عم لو

وضعوا الشمس بيمينى، والقمر بيسارى، على أن اترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله تعالى، أو اهلك دونه)).^(١)
فأي إرادة أقوى من هذه الإرادة؟

موقف وعبرة:

أما قوة الإرادة، فهي المؤهل الأول والامتياز الأصعب الذي لابد من توفره عند صاحب المهمة القيادية. فإن لم يكن كذلك، فستهتز ثقة أتباعه به، ولن يرضى أحد بالعمل معه؛ لأنه لا يبعد ان يهتز عند المحن، فيتخلى عن هدفه ويسقط هو ومن معه.

(١) التفسير الصافي- الفيض الكاشاني.

بشارات النبوة

لو راجعنا التاريخ، لوجدنا نبوءات قبل بعثة النبي موسى (عليه السلام) تبشّر بمجيئه، لذلك عرف فرعون أنه سيولد رجل يهدم عليه ملكه، فقتل كلَّ من يولد في تلك السنة من ذكور. وكذلك كانت البشارات قبل ولادة النبي عيسى (عليه السلام) حتى حملت به أمُّه مريم (عليها السلام).

وهكذا كان الأمر قبل ولادة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد كان الأحرار من اليهود والرهبان من النصاري والكُهَّان من العرب قد تحدَّثوا بأمر الرِّسول قبل وبعد ولادته، لمَّا تقارب زمانه.

وعلى الرغم من التَّحريف الذي تحمله الأناجيل المتداولة، فإنَّ ما وصل منها بأيدينا، لا زال يحمل البشارة برسول الله مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم)،
فقد جاء في إنجيل يوحنا:

«ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا
أطلب من الآب فيعطىكم بارقليط - معزياً -
آخر ليمكث معكم إلى الأبد».

«لا أتكلّم أيضاً معكم كثيراً؛ لانّ رئيس هذا
العالم يأتي».

«وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله
الآب باسمي، فهو يعلمكم كلّ شيء
ويذكركم بكلّ ما قلته لكم».

«لكني أقول لكم الحقّ، أنّه خير لكم أن
أنطلق، لأنّه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي،
ولكن ان ذهبتم أرسله لكم».^(١)

وغيرها من النصوص.

وبالتأمل في هذه النصوص نجد أنها تشير إلى:

(١) إنجيل يوحنا الباب ١٥ العبارة رقم ١٦.

١ - أن المسيح (عليه السلام) يوصي ويبشّر بمجيء مُعزٍّ بعده.

٢ - أن مجيء المعزّي مشروط بذهاب المسيح (عليه السلام).

٣ - أنّه مرسل من قبل الله.

٤ - أنّه يعلم كلّ شيء .

٥ - أنّه يذكر بما قاله المسيح (عليه السلام).

٦ - أنّه يشهد للمسيح (عليه السلام).

وإذا راجعنا صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنجد أنها تنطبق عليه تماماً، فهو صاحب الرسالة التي تبقى مع المؤمنين إلى آخر الدهر إذ لا رسالة بعدها، وهو متمم رسالات الأنبياء من قبله ومتمم التكاملات الروحية والأخلاقية التي جاءوا بها، وهو الذي يحمل القرآن الذي أنزله الله سبحانه ﴿تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾ ويخبر عن أمور آتية وقعت بعد نزوله، وإنه يشهد للمسيح (عليه السلام) بالنبوة والرسالة، ويمجد المسيح (عليه السلام).

أحمد في الإنجيل

ونزداد يقيناً أكثر إذا علمنا أنّ كلمة المُعزّي، هي ترجمة محرّفة لكلمة «بيريكيتوس» اليونانية، التي كُتِبَ بها إنجيل يوحنا منذ البداية، وترجمتها الدقيقة تعني «أحمد»، وقد حرّفت الكلمة في الإنجيل عند ترجمتها إلى «باريكليتوس» أي المعزّي. (١)

وهناك شواهد كثيرة، تدل وتبشّر بأنّه سوف يظهر نبيّ عربيّ . ونذكر من هذه الشواهد ما ذكره سلمان المحمّدي، عندما انتقل إلى المسيحية، حتى وصل إلى آخر راهب فيهم، والذي قال له وهو يحتضر: «والله ما أعلمه (ما أعلم أحدا) أصبح اليوم أحد على مثل ما كنّا عليه من الناس أمرّك به أن تأتيه، ولكنّه قد أظل زمان نبيّ، وهو مبعوث بدين إبراهيم (عليه السلام) يخرج بأرض العرب، مُهاجره إلى أرض بين حرّتين بينهما نخل، به

(١) كتاب العهد القديم والجديد إصدار دار الكتاب المقدس.

علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل»^(١).
وفعلاً وصل سلمان إلى المدينة، وبعد مدة وصل إليها النبي مهاجراً، ووجد سلمان فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) الصفات الثلاثة التي أخبره عنها الرَّاهب.

مَوْقِفٌ وَعِبْرَةٌ:

وفي هذا الموضوع رد واضح، لمن ينكر الرسالة المحمدية، أو يكتفي بما مضى من رسل وأنبياء سابقين وما جاءوا به من كتب وبلاغات. وفي هذا إلزام لهم بما ألزموا أنفسهم به، وما جاء فيها من إشارة إلى وجوب التصديق به، فهو يذكر بما قال المسيح (عليه السلام)، وهو الذي اسمه احمد، وهو عربي يخرج بأرض العرب، مهاجرة إلى أرض بين حرتين.

(١) مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل - ج ٥ - ص ٤٤٢ - ٤٤٣؛ وفي مصادر أخرى مع اختلاف في الألفاظ: مجمع الزوائد - الهيثمي - ج ٩ - ص ٣٣٤؛ شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٨ - ص ٣٨. تفسير نور الثقلين ج ٤.

الراهب بحيرا

وقصة الراهب بحيرا حين رافق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عمه أبا طالب لما خرج إلى الشام في تجارة له، وكان له من العمر تسع سنين، رأى الناس أن الراهب يتطلع إلى الصحراء. ثم يقلب وجهه في السماء، كأنه يطلب شيئاً في الأرض وشيئاً في السماء..

فلما اقترب الراكب، لاحظ الناس أن الراهب يراقب سحابة في السماء، كأنها تسير على أثر خطوات الخيل والجمال سواء بسواء. وحينما وصلت قريش إلى رحاب الصومعة، دعاهم الراهب إلى الإقامة فيها للعشاء تلك الليلة، وتعجب الناس كلهم من هذه البادرة، وكانوا كثيراً ما يمرُّون به ولا يكلمهم، فلما اجتمعوا عنده قال:

هل تخلف أحد منكم عن طعامي؟ قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام هو أحدث القوم سنّاً في رحالهم. فقال: أدعوه فليحضر طعامي. فاقبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والغمامة تسير على رأسه تظللّه، وجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء

في جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، فلمّا تفرقوا عن
طعامهم، قام إليه الراهب واجتمع به مع عمه، وقال: يا غلام،
أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عمّا أسألك.

فقال النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) لا تسألني باللات
والعزى، فوالله ما أبغضُ شيئاً بغضهما.

قال: بالله الآ ما أخبرتني عمّا أسألك عنه.

قال: سلني عمّا بدا لك.

فجعل يسأله عن أشياء من حوله، ويقظته، ونومه، وأموره.
فيخبره (صلى الله عليه وآله وسلّم) عما يوافق ذلك ما عنده، ثمّ
جعل ينظر بين عينيه، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين
كتفيه على موضع الصفة التي يعرفها عنده، فقبل موضع الخاتم.

فالتفت الراهب إلى أبي طالب، وقال: ما هذا الغلام منك؟ قال أبو
طالب: ابني.

قال: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً.

قال أبو طالب (عليه السلام): هو ابن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟ قال أبو طالب: هلك وأمه حبلى به.

قال: فما فعلت أمه؟ قال أبو طالب: توفيت قريباً.

قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبيغونه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا وما روينا عن آبائنا، واعلم أني قد أدّيتُ اليك النصيحة. (١)

وتكررت هذه البشارة مرة أخرى في الشام، حيث التقى بالنبي رهاب آخر كان يدعي بـ "أبو المويعب" وبشّر الناس قائلاً: هذا نبيّ الزمان.

إذاً فاليهود والنصاري كان لهم العلم بأنه سوف يبعث الله نبياً، وهو من العرب ومن منطقة مگّة، وواصفاه وصفاته قد أشار إليها القرآن الكريم مبيّناً آياها، ومحتجاً على اليهود والنصاري بقوله:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ

(١) بحار الأنوار - المجلسي ج ١٥.

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿ الأعراف/ ١٥٧.﴾

الوحي

كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على يقين لا يخامره شك في أنه رسول الله تعالى للإنسانية جمعاء على اختلاف لغاتها وقومياتها، وكان يطيل التفكير في إصلاح البشرية وهدايتها إلى التوحيد وإعادتها إلى حضرة الخالق العظيم سبحانه وتعالى وتحريرها من عاداتها وتقاليدها التي كانت تكبل الروح والفكر وتجز الناس إلى الظلام والتسافل. وكانت بداية الوحي في تلك البقعة المباركة (من غار حراء) عندما كان عمره الشريف أربعين سنة عام ٦١٠ م سنة ١٣ قبل الهجرة. وقد نزل عليه جبرئيل (عليه السلام) بالرسالة

المقدسة مبتدأ بكلمة ((اقرأ...)) فقال: (صلى الله عليه وآله وسلم): ماذا اقرأ؟

قال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم}. بعد ذلك كَرَّ إلى بيته راجعاً، وكان جبرئيل يلاحقه في الطريق وهو يبشره ويهنيه على هذا المنصب العظيم والمكانة العليا عند الله تعالى.

ولما سمع ورقة ابن نوفل وهو ابن عم خديجة وكان يدين بالنصرانية وعارفاً بالإنجيل. اطرق ملياً ثم رفع رأسه، وقد أصابه الفزع والذهول وقال بصوت مضطرب النبرات: ((قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاء الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وانه لنبي هذه الأمة)).¹

وعندما كانت خديجة عنده، وإذا به قد اهتز واخذ العرق ينصب منه، وإذا بجبرئيل يوحى اليه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ...﴾ إذ أمره الله تعالى بدعوة العباد إلى كلمة

¹ أحاديث أم المؤمنين عائشة - السيد مرتضى العسكري - ج ٢ - ص ٢٥٢

التوحيد وإنذارهم من العذاب الشديد الذي ينزل على الظالمين
والكافرين.

وطلبت منه خديجة أن يعود لفراشه فقال لها ((انقضى يا
خديجة عهد النوم والراحة فقد أمرني جبرئيل ان انذر الناس...
فمن ذا أدعو ومن ذا يستجيب لي؟))

وكان أول من آمن برسالته علي وخديجة (عليهما السلام)
وأجابا داعي الله. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي: «يا
عليّ ، أنت أوّل هذه الأمّة ايماناً بالله ورسوله، وأوّلهم هجرة
إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله. لا يحبك والذي نفسي
بيده إلا مؤمن، قد امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يبغضك إلا
منافق أو كافر». (١)

وتحدث الإمام (عليه السلام) عن سبقه للإسلام مع أم
المؤمنين خديجة: ((ولم يجمع بيت يومئذ واحد في الإسلام
غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما (صلوات الله عليهم
وآلهم)). وكان عمر الإمام يومئذ سبع وقيل تسع سنين. (٢)

(١) بحار الأنوار ج ١٦ .

(٢) مجمع الزوائد ٩ : ١٣٣ .

نبي أمي ودعوة عالمية

النبي الأمي

إنّ تاريخ العرب ومكة حال ظهور الإسلام يشهد على عدم تعلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) القراءة والكتابة على يد أحد. والمعروف أنّ القراءة والكتابة مقصورة على بعض الأفراد الذين حفظ التاريخ أسماءهم، لقلّة عددهم وشهرتهم بين الناس، في حين أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) لم يُذكر فيهم.

وعليه فإنّ المسلمين كانوا سيقولون بأمية محمد النبي حتى لو لم يخبرهم القرآن بذلك، كما أنّ أعداء النبي والإسلام آنذاك اتهموه بالأخذ من أفواه الآخرين، ولكنهم لم يتهموه قط بأنّه كان يعرف القراءة والكتابة، فكانوا يقولون أنّه يستقي من كتب مذكورة لديه.

وحتى الكفار الذين اتهموا النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بثتى التهم، فلم يكونوا يتورعون عن أي منها، فوصفوه بالجنون والسحر والسماع الشفهي من أفواه الآخرين، لكنهم

لم يكونوا يستطيعون اتهامه بأنه يعرف القراءة والكتابة فيقرأ عليهم محتويات الكتب الأخرى وينسبها إلى نفسه.

ومن خلال حكم التاريخ القطعي، وبشهادة القرآن، وبحكم القرائن التاريخية الكثيرة، نعلم أن لوح ضمير النبي كان مبرئاً من التعلم من بشر.

إنه لم يتعلم إلا في ظلّ التعليم الإلهي. وأنه رغم عدم تعامله مع القلم والقرطاس والحبر والقراءة والكتابة، رغم ذلك، يقسم الله بالقلم وآثاره كأمر مقدّس: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. ويأمر بالقراءة في أول رسالة إلهية إليه، وعبر عن صناعة استعمال القلم، بأنها أعظم نعمة تأتي بعد نعمة الخلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

وهكذا رأينا ذلك الإنسان الذي لم يمسك بقلم قط، رأيناه عند دخوله المدينة، يبعث نهضة القلم، رأينا ذلك الإنسان الذي لم ير معلماً قط ولم يدخل جامعة أبداً، يعلم الإنسانية وينشئ الجامعات عبر التاريخ.

فضلا عن أنَّ المفسرين، لم يختلفوا في أنَّ هذه الآية تدل على عدم وصف النبي بالقراءة والكتابة، وهي: ﴿وَمَا كُتِّ تَلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخَطُّهُ بِمِئِنَّكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ .

فهي صريحة في أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لم يكن قبل عصر الرسالة يقرأ أو يكتب، وهذا ما فهمه عموم المفسرين المسلمين.

وتوجد آية تُشعر بعدم تعلم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُتِّ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ ، فهي تؤكد على أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن يعرف الكتابة، قبل نزول الوحي.

وجاءت كلمة (أمي) و (أميون) في مواضع مختلفة من القرآن، ولكنها كانت تفسر دائماً وفي أي موضع بتفسير واحد: ١ - فكلمة (أمي) في اللغة أصلاً بمعنى الطفل الوليد، وإشارة لهذه الحالة الحياتية، عُبر بهذه الكلمة عن الشخص الذي لا يعرف القراءة والكتابة. فالأمي هو الذي بقي من حيث الإطلاع

على الكتابات والمعلومات الإنسانية على الحال الذي ولدته
أمه فيه.

٢- وكلمة (أمي) تأتي، بمعنى من كان يعيش في أم القرى،
أي أم المدن (المدينة الرئيسية المركزية). وهي صفة أطلقها
أعراب زمن النبي على مكة. فمن هو من أهل مكة يدعي بـ
(الأمي). ومؤيدوا هذا التفسير ينسبون (أمي) إلى (أم القرى)
وهي مكة.

٣- والمورد الآخر لاستعمال كلمة (أمي)، هو الشخص الذي
لم يتعرف على المتون السامية القديمة، وليس من أتباع
الديانة اليهودية أو المسيحية، وهم من أسماوا في القرآن (أهل
الكتاب). وقد أطلقت كلمة (الأميين) في القرآن على العرب،
قبل الإسلام باعتبار انهم لم يتعرفوا على كتاب مقدس، ولم
يكونوا في زمرة أتباع التوراة والإنجيل، فكانوا في قبائل (أهل
الكتاب).

ومما يؤيد هذا المعنى، ما نجده من استعمالات في الروايات
وكتب المؤرخين. بل لم تستعمل فيها إلا بهذا المعنى أي (غير
المتعلم).

وجاءت رواية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول فيها: " نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نكتب". (١)

الإمام الرضا (عليه السلام)، في حوارهِ مع أهل الديان، يقول لرأس الجالوت "وكذلك أمر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما جاء به كل رسول بعثه الله، ومن آياته أنه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيماً لم يتعلم كتاباً ولم يختلف إلى معلم، ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء (عليهم السلام) وأخبارهم حرفاً حرفاً، وأخبار من مضى ومن بقى إلى يوم القيامة...". (٢)

إن الظاهرة التي أثارت إعجاب الجميع، وكشفت أكثر من غيرها عن عظمة القرآن الكريم، وكونه كتاباً سماوياً حقاً، هي أن هذا الكتاب العظيم، بكل معارفه في مجالات المبدأ الأول والمعاد وتصوراته عن الإنسان والأخلاق والقانون والقصص والعبر والمواعظ، وبكل جماله وفصاحته، هذا الكتاب جرى على لسان رجل أمي لم يدخل أي جامعة، ولم يقابل أي عالم من

(١) بحار الأنوار / ج ١٦ / ص ١١٩.

(٢) عيون أخبار الرضا، ص ١٣٦.

علماء العالم، ولم يقرأ حتى كتاباً بسيطاً من كتب عصره. فالآية والمعجزة التي أجراها الله تعالى على يد آخر أنبيائه هي معجزة كتابية بلاغية حديثة، ترتبط بالفكر والإحساس والضمير، وقد أثبتت هذه المعجزة وهذا الكتاب قدرته المعنوية الخارقة عبر العصور. فما أكثر العقول التي بعثها على التفكير، وما أكثر القلوب التي أفاضها بالذوق والشوق المعنويين. وما أكثر الدموع التي أجراها على الخدود، حباً وخوفاً لله تعالى في أعماق السحر وأواسط الليل، وكم أطلق من أمم من عقال الاستعمار والاستبداد والظلم!!

نعم... إن العناية الإلهية التي شاءت أن تثبت إعجاز القرآن أكثر فأكثر، أنزلت هذا القرآن على عبدٍ يتيم راعٍ يجوب الصحراء أُمي لم يدخل مكتب تعليم أبداً، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

مَوْقِفٌ وَعِبْرَةٌ:

إن العِظَّة تكون أفصح وأنصح، وأكثر تأثيراً في النفوس، حينما تصدر مُحكَّمة ومتقنة، وعلى لسان من كان ((يتيماً فقيراً راعياً

أجيراً لم يتعلم كتاباً ولم يختلف إلى معلم)) (كما وصفه الإمام
الرضا (عليه السلام))، وانه جاء بمعجزة بلاغية حديثة،
ترتبط بالفكر والإحساس والضمير، فتنقاد لها النفس صاغرة
ذليلة. وهذا امتياز أعطي لهذه الأمة، لابد أن يكون حافظاً،
للبذل والعطاء في كل مجال.

الدعوة السرية

مضت ثلاث سنين والدعوة الإسلامية محاطة بالكتمان والسرية. وكان لابد للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الحكيم، أن يلجأ إلى الدعوة السرية لحفظ الرسالة، ولتقوية بنيتها، ولتتكامل المؤمنون عددياً وفكرياً ونفسياً، بعيداً عن عيون الطواغيت.

فانطلقت الدعوة السرية لأمر الله تعالى، فكان أول من دعاه، وطلب منه التصديق به، ابن عمه علي بن أبي طالب، وزوجته خديجة بنت خويلد، فأما به وصدقاه.

فكانت تلك النواة الأولى للدعوة الإلهية الكبرى في الأرض، والمنطلق الأساس لحركتها التاريخية.

فعلي (عليه السلام) المخلص الوفي للنبوة والرسالة وخديجة نعم العون والنصير، فقد صرفت ثروتها ومالها الوفير من أجل نصرته الإسلام وتثبيت أركانه. ثم أسلم زيد بن حارثة، فكان ثالث من صدق وأسلم.

ويذكر المؤرخون، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يختار أصحابه فرداً فرداً، ولم يوجه دعوته إلى الجميع

في تلك المرحلة، ليكون كتلة قوية قادرة على حمل الرسالة ومواجهة الطغاة بصورة سرية. ومن مظاهر السرية في تلك المرحلة التي دامت ثلاث سنوات، هو اتخاذ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، مقرراً سرياً لاجتماع أصحابه، وقراءة القرآن، وتعليم الإسلام، وإعداد المؤمنين وتربيتهم، وهو بيت الأرقم المخزومي. (١)

موقف وعبرة:

هذه حركة فيها صبر وتأنٍ و استجابة للظروف المحيطة بالدعوة، وهي سيرة صادرة من أحكم الحكماء (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويستحسنها كل ذي لب سليم، فهي سيرة عقلانية، قبل كونها متشريعة، وهذا ما يفرض الالتزام بها، باعتبارها تقيدنا بسيرته الشريفة.

(١) بحار الأنوار / ج. ٨٢.

إعلان الدعوة

بعدما انتهت السنوات الثلاثة الأولى، بدأت مرحلة جديدة وخطيرة وصعبة، هي مرحلة الدعوة العلنية إلى الله، وقد بدأت أولاً على نطاق ضيقٍ نسبياً، حيثُ اختصَّ أقاربه بالدعوة أول الأمر، حينما نزلت عليه هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ . والسببُ يعود لأمرين:

١- لكي لا يقال: لماذا لا يدعو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أهله وعشيرته إلى دينه الجديد ويذهب لإنذار البعيدين عنه، فإن كان في دعوته خير وسعادة، فلماذا يحرم منها عشيرته وأقاربه؟

٢- أنه كان بحاجة إلى حماية أكثر تساعد على المضي في نشر رسالته، وتمنع عنه أذى الجاهلين.

فانطلق (صلى الله عليه وآله وسلم) مليئاً أمر الله تعالى، بالجهر بالدعوة، فعزم على الجهر بها، وجمع بني هاشم وبني نوفل، وكان عددهم أربعين رجلاً، وكان بينهم أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب.

وخطب فيهم قائلاً: ((قد جئتم بأمر فيه لكم خير الدنيا والآخرة. قد أمرني الله تعالى أن ادعوكم إليه. فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم؟)) وأحجم القوم كلهم. (١)

فقال له علي (عليه السلام): ((انا يا نبي الله أكون وزيرك عليه)). وعلى أي حال، أعار القوم دعوة النبي أذناً صماء إلا عمه أبي طالب، وابنه علي (عليهما السلام).

ثم أعلن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دعوته على الملأ من قريش، حينما نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكْبِيرٌ...﴾ إذ وقف على الصفا فنادى:

"يا صباحاه!! فاجتمعت إليه قريش فقالوا: مالك؟ قال: أرايتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، ما كنتم تصدقوني؟

قالوا: بلى. قال: فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد".

فقام أبو لهب معترضاً وقال: تباً لك، ألهذا دعوتنا!

(١) التبيان في تفسير القرآن/ ج ٨ / ص ٦٢.

موقف وعبرة:

إن التدرج في طرح أمر كهذا، لابد أن يكون بصيغة تبعد تركيز أنظار المتضررين منه (الجبابرة والمنتفعين وأصحاب المصالح الضيقة). وفي نفس الوقت توفر أسلوباً آخر، يجعل نفس الأمر في متناول العوام؛ لأنهم الأغلب والأقرب والأكثر تفاعلاً معه؛ لأنه يلبي طموحاتهم ويحاكي مشاعرهم وهم من يقفون إلى جانب صاحب ذلك الطرح، ويؤمنون به ويصدقوه، شرط أن يسبق كل ذلك، إيمان وتصديق بحسن نوايا صاحب ذلك المشروع، وكيف لا! وهو الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم).

إعراض قريش

ثم خطب فيهم (صلى الله عليه وآله وسلم) مرةً أخرى وقال: أيها الناس! إن الرائد لا يكذب أهله. ولو كنت كاذباً لَمَا كَذَّبْتُمْ. والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة؟ والله لَتَمُوتُونَ كما تَمُوتُونَ. وَلَتُبْعَثُونَ كما تَسْتَيْقِظُونَ وَلَتُحَاسِبُونَ كما تَعْمَلُونَ؛ وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَاناً، وبالسوءِ سوءاً. وَإِنهَا الْجَنَّةُ أَبَداً، والنارُ أَبَداً. وَإِنكُمْ أُولَ مَنْ أَنْذَرْتُمْ".

ولكن لم تكن تلبية القوم إلا مثل تلبية أبي لهب. فقد أعرضوا عنه، واستهزئوا به، وسخروا من دعوته.

أما هو (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد ظلَّ يواصل دعوته بثتى الأساليب، حتى اشتهر خبرها في مكة وما حولها. وبلغت دعوته بعض النفوس النيرة الخيرة التي كانت تريد الحق والخير، فأمنت بها، وأتبعتها. بيد أن أكثرية التابعين لها كانوا من الطبقة الفقيرة التي لم تكن تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً. ولطالما كانوا يسخرون منه ويستهزئون بدعوته، فكان يعظهم ويدعو الله لهم بالهداية دون أن يغضب أو يثور.

وكان في بعض الأحيان يتجول في العشائر والمجامع، ويدعو الناس إلى ربهم. بيد أن كفار قريش كانوا يعرقلون طريق دعوته بأمرين:

- الأول: أنهم كانوا يحذرون الناس من أن يتأثروا بدعوته قائلين لهم: إنَّ الرجل منَّا، وهو ساحر ومجنون أو كذاب. حتى أن الناس كانوا يضعون القطن في آذانهم لكي لا يسمعوا قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
- الثاني: أنه كان يسير خلفه رجل منهم ويصيح إنه كذاب فلا يُسمع قوله، ولا تُلبَّى دعوته.

وعجز كفار قريش عن أن يمنعوا سير الدعوة الحثيث واشتغارها بهذه المعارضات. ففكروا في انتهاج مسلك آخر في منع الناس عن الإسلام، فجاءوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا له: يا محمد شتمت الآلهة، وسفَّهت الأحلام، وفرقت الجماعة. فإن طلبت مالاً أعطيناك، أو الشرف سوِّدناك، أو كان بك علة داويناك.

فقال: (صلى الله عليه وآله وسلم): " ليس شيء من ذلك، بعثني الله إليكم رسولاً، وأنزل كتاباً، فإن قبلتم ما جئت به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه أصبر حتى يحكم الله بيننا ". (١)

وعرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن أهل مكة، لا يمكن أن يكونوا الحاملين للرسالة الإسلامية المقدسة إلى الآفاق؛ لأنَّ دعوته الملحَّة المستمرة التي ظلت فيها زهاء عشر سنوات لم تجدي نفعا أبداً، ولم تُنتج غير إصرار من الكفار وعناد بالغيث.

فصمَّ على نشر الدعوة بين سائر القبائل العربية الأخرى، وظلَّ ينشر نور الإسلام من خلال أفرادها. فأخذ يدعو الناس في المواسم التي كانت العرب تتدفق فيها على مكة، لغرض العبادة أو التجارة.

مَوْقِفٌ وَعِبْرَةٌ:

ومثل هذه الأجواء تفرض على القائد أن يفكر في توفير بدائل مناسبة، وخطط بديلة لمواجهة الطوارئ، وإن لا يعتمد على

(١) روايات المدرسين/ ج ٥ / ص ١٩.

مسلك واحد في نشر دعوته، وتوفير العدد الملائم من المؤيدين، لتكوين القاعدة التي تتكفل المهمة وتنفذ الخطط، التي يضعها ذلك الموجه.

إسلام حمزة

وكان إسلام حمزة نصراً للإسلام وعزا للمسلمين. فقد عرف في أوساط مكة، بقوة البأس، ورجاحة الفكر وصدق العزيمة، وكان مهاب الجانب عزيز النفس وله مكانة في نفوس قريش. وروي أن أبا جهل، اجتاز على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند الصفا، وبالغ في شتمه والاعتداء عليه. فلم يكلمه الرسول وسمعت إحدى النساء كلامه. وكان حمزة راجعاً من الصيد، فمضى صوب الكعبة وطاف بها. فبادرت إليه المرأة وقالت له ((يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد، من أبي الحكم بن هشام، إذ وجده هاهنا، فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ولم يكلمه محمد)).

فثار حمزة، وراح يجذّ حتى دخل المسجد فرأى أبا جهل فوقف على رأسه، فرفع القوس وضربه وشج رأسه وصاح به: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول؟
فرد ذلك عليّ أن استطعت!!!

وأعلن حمزة إسلامه، وعاهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) على حمايته، والذبّ عنه والتضحية في نصرته الإسلام.

مَوْقِفٌ وَعِبْرَةٌ:

وهذا أسلوب أخلاقي متميز، للانتصار بذوي العزيمة الصادقين، وأصحاب المكانة في النفوس، ممن يتميزون بعزة النفس ومهابة الجانب، وقوة البأس والإصرار على بلوغ الأهداف المشروعة.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع القبائل

وأخذ الرسول يعرض دعوته على القبائل، ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى، ونبذ الأصنام. وقد لبث النبي عشرة سنين، يتبع الحجاج في منازلهم وفي منى وعرفات وفي الأسواق ويذهب (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى القبائل في أماكنها لإيصال كلمة الحق ومن تلك القبائل:

* بني عامر:

وقد دعاهم إلى الإسلام، فانبرى إليه بجيرة ابن فراس من بني عامر، وقال له: أرايت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك. أيكون لنا الأمر من بعدك؟ (يحسب أن الدعوة للملك والسلطان).

فأجابه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (الأمر لله يضعه حيث يشاء). فقال: (افتهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك

الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا في أمرك) فلم يستجيبوا له.
وقفل راجعاً.

وعرضوا حديث النبي لهم على شيخ منهم. فلامهم على عدم
إجابتهم له قائلاً: ((والذي نفسي بيده ما تقولها اسماعيلي
(من بني إسماعيل) قط، وإنه لمحق. فأين رأيكم كان
عنكم؟))^(١).

*ثقيف:

وعمد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مبشراً بدين الله تعالى
إلى ثقيف.

فقابل إخوة ثلاثة من سادات ثقيف. فعرض عليهم الإسلام.
فقال له احدهم، وهو يمرط (يشق) ثياب الكعبة: ((إن كان الله
أرسلك))

وقال له الثاني: ((أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟)).

(١) بهج البلاغة في شرح نهج البلاغة / ج ١٠٣ / ص ٢.

وقال الثالث: ((والله! لا أكلمك أبداً، لان كنت رسولاً من عند الله - كما تقول - لانت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام. وان كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك)).

وقالوا له اخرج من بلدنا والحق بمن شئت. وقد اجتمع الناس حوله وصاروا صفيين. فرجموه بالحجارة حتى أدموا رجليه. فجعلوا يقذفونه بالحجارة وهم يضحكون!!

ولما نجا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من ثقيف وشرهم، دعا الله بهذا الدعاء الذي يحكي مدى ألمه ((اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، وأنت رب المستضعفين، إلى من تكلمي إلى عدو بعيد يتجهمني؟ أم إلى صديق قريب ملكته أمري؟ إن لم تكن غضبان عليّ، فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، ولك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك)).

موقف وعبرة:

وهنا موعظة في أن لا يأخذ اليأس، طريقاً إلى صاحب الحق، لكي يدافع عن حقه، والمهمة التي أوكلت إليه. وان يكثر من الإلحاح في طرحه؛ وان لا تصده مواقف الجاهلين لأمره؛ لان تقبل الأمر الجديد يصعب غالباً. خصوصاً إذا كان يخالف الطبع، ويعتمد الغيب (فهو صعب مُستصعب). وهكذا دائماً يكون مضمون الدعوات الإلهية، التي يجىء بها الأنبياء والمصلحون.

معرفة اللغات لإتمام الحجة

كان العرب حين ظهر الإسلام وصدع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة، في أسنى مدارج الفصاحة، وأعلى طبقات البلاغة، يتنافسون في إنشاد الأشعار وإلقاء الخطب، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مشرّع الفصاحة، ومعدن البلاغة، رئيس الفصحاء، وإمام البلغاء .

حتى لقد قال له علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، حين سمعه يخاطب وفد بني نهد: يا رسول الله، نحن بنو أب واحد، ونحن نراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره؟

فقال: أدبني ربي، أحسن تأديبي، وربيت في بني سعد".

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يخاطب كل قوم ويكاتبهم بلغتهم، وذلك من أنواع بلاغته، فكان يتكلم مع كل ذي لغة غريبة بلغته، ومع كل ذي لغة بليغة بلغته، اتساعاً في الفصاحة، واستحداثاً للألفة والمحبة. فكان يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن، وارق من المزن. ويخاطب أهل البدو، بكلام أرسى من الهضب، وأرهف من العضب.

وعليك بالقياس بين طائفتين من كلماته الشريفة، كي يتضح الحال حيث قال (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض مقاماته: إن اصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) **واشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص القرآن.** (١)

فترى في بعض كتبه وكلماته لفظاً وحشياً يخل بالفصاحة؛ فهو غريب وحشي بالنسبة إلى غير المخاطبين، وأما بالنسبة إلى المخاطبين، فهو لفظ مستعمل مأنوس؛ لأنهم كانوا يكثرون استعمال هذه الألفاظ، واليك من كلماتهم ما يعلم منه حالهم.

• قال رجل: يا رسول الله، أيدالك الرجل امرأته؟

قال **نعم. إذا كان مفجعاً.** فقال له أبو بكر يا رسول الله، ما قال

لك، وما قلت له؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): **قال: أيماطل الرجل امرأته،**

قلت نعم إذا كان مفلساً.

(١) مكاتيب الرسول / ج ١ / ص ١٢.

• وفدت إليه جماعة حين بعث، فلما دخلوا المسجد، لم يعرفوا النبي. فقال رجل منهم بلغته: من أبون أسران: يعني أيكم رسول الله؟

فلم يفهم الحاضرون قوله. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

اشكداور. یعنی آقبل

هيهنا. ومعنى اشكد: تعال واقبل وهلم. واور: معناه هنا. (١)

إذ كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مبعوثاً إلى كافة الناس، أبيضهم وأسودهم وأحمرهم، وعربيتهم وأعجميتهم. فعلمه الله لغاتهم وعرفه كلماتهم لإتمام الحجة. والله الحجة البالغة. وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ فعلمه الله جميع اللغات؛ لأنه بُعث إلى جميع الناس، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾.

(٢) حلية الأولياء/ ج ١ / ص ١٣٩.

ونقل انه لما حضر عنده (صلى الله عليه وآله وسلم) بلال،
وتكلم بلسان الحبشة (اره بره كنكرة كرى كرى مندره)، فتحير
الحاضرون، فبيته (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم.

موقف وعبرة:

وبما أن القضية عالمية، والمبلغ الأساس فيها واحداً، كان لا
محالة أن يكلف بحملها لكل الأقوام، باختلاف أماكنهم ولغاتهم
وطبائعهم، وبقدر إحاطته بدعوته، يفترض ان تنتقل كما هي
إليهم. فكان لزاماً عليه ان يعلم مخاطبتهم وعلى قدر عقولهم.
ونحن نعيش اليوم نفس القضية، ولكن بمدى أوسع، ومما
يخفف العناء، توفر الوسائل المختلفة للتوصيل والاتصال.
فيكون هذا محفزاً كافياً لتفعيل هذا الجانب، شذّما تفعيل.

بيعة العقبة الأولى

وكان من مراحل الجهر بالدعوة، انه لما أراد الله تعالى إعزاز عبده ورسوله، وإظهار دينه وانجاز وعده بالنصر وظهور الأمر، خرج إلى العقبة (والظاهر أنها العقبة التي تضاف للجمرة (جمرة العقبة))، إذ ليس أظهر منها، وعن يسار الطريق لقا صد منى من مكة، شعب قريب، فيه مسجد مشهور عند أهل مكة، أنه مسجد البيعة، وهو على نشز من الارض)، ولقي رهطاً من الخزرج، فقال: تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى.

فعرض (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم الإسلام، وتلا عليهم آيات من الذكر الحكيم. فنفذت إلى أعماق نفوسهم. فقالوا: (يا قوم انه النبي الذي توعدكم به اليهود. فلا يسبقونكم اليه). وأجابوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعلنوا إسلامهم. وكانوا اثني عشر رجلاً من الخزرج ومن الأوس رجلين.

أما صيغة البيعة فهي ((لا يشركون بالله شيئاً، ولا يسرقون ولا يزنون، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتون ببهتان يفتروه، ولا

يعصون الله تعالى في معروف.... فان وفوا بذلك فلهم الجنة، وان
لم يفوا فأمرهم إلى الله تعالى إن شاء عفا وان شاء عاقب)).

بيعة العقبة الثانية

ولما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فبايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على بيعة النساء وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب (على ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا ننزي ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف).

واجتمع الوفد مع النبي سراً بعد مضي ثلث من الليل، خوفاً من بطش قريش. إذ تسللوا جميعاً إلى العقبة ومعهم امرأتان (أم عمارة ونسيبة بنت كعب)، وتلا رسول الله ما يريده منهم قائلاً ((أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم)). وقام البراء ابن معرور، فاخذ بيد النبي وقال: ((والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرننا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل حرب وأهل الحلقة ورتناها كابرا عن كابر)).

وقام ابو الهيثم ابن التيهان مذكراً بخطر اليهود ((ان بيننا وبين الرجال حبلاً نحن قاطعوها، فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله، ان ترجع إلى قومك وتدعنا))، فتبسم النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم) وأعرب انه معهم يحارب من حاربوا ويسالمن من سالموا.

ورفع العباس ابن عبادة صوته ((يا معشر الخزرج أتعلمون علام تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فان كنتم ترون إنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه. فمن الآن فدعوه فو الله ان فعلتم خزي الدنيا والآخرة. وان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف، فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة)).

فتعالت أصواتهم بلهجة واحدة: ((إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف. فما لنا يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك؟)). فأجابهم الرسول بثقة واطمئنان: (فمن وفى ذلك منكم فأجره على الله). وعلى قول: (الجنة).^(١)

وقال جابر بن عبد الله (رض): (إن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم وفي المواسم بمنى

(١) مكاتيب الرسول / ج ١ / ص ٤٣٩.

يقول: (من يؤويني؟ ومن ينصرنني؟ حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة)؟ فلا يجد أبداً أحداً يؤويه ولا ينصره.

حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فيأتيه الرجل منا، فيؤمن به ويقرئه القرآن. فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبق دار من دور يثرب إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام.

ثم بعثنا الله تعالى فأتمرنا واجتمعنا فقلنا: إلى متى نذر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يطوف في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا فيه من رجل ورجلين حتى توافينا عنده، فقلنا: يا رسول الله علام نبأبعك؟ قال كما رواها عبادة بن الصامت: (تبأيعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله، لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم يثرب، تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة).

(فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغر السبعين رجلاً ألا أنا.

فقال: رويدا يا أهل يثرب. فإننا لم نضرب إليه أكباد المطي، إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجهم اليوم، مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على عض السيوف إذا مستكم، وعلى قتل خياركم، وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه، وأجركم على الله. وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة، فذروه فهو أعذر لكم عند الله.

فقلنا: ابسط يدك يا أسعد بن زرارة. فو الله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها. فقمنا إليه نبايعه رجلاً رجلاً، يأخذ علينا شرطه ويعطينا على ذلك الجنة).

وسميت هذه البيعة ببيعة الرضوان ونزلت فيها الآية { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا }.

موقف وعبرة:

تتضح جلياً ها هنا، الحاجة إلى اخذ العهد والميثاق، ممن يلتحق ويؤمن ويصدق، في كل دعوة، وان يكون الجميع على بينة من أمرهم. وليكونوا على استعداد لما يصيبهم، حينما يكون هدفهم واحداً وسامياً، ومصير الجميع واضحاً وواحداً. فهم متساوون في الشدة والرخاء.

إمرأة تمثل النساء

انبرت أسماء بنت يزيد الأنصارية إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخاطبته قائلة: ((إني رسول من ورائي، جماعة من نساء المسلمين، يقلن بقولي وعلى مثل رأيي، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فأما بك واتبعناك، ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد بيوت وموضع شهوات الرجال وحاملات أولادكم، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم. أفنشاركهم بالأجر يا رسول الله؟)) وأكبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديثها. والتفت إلى أصحابه قائلاً: ((هل سمعتم امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟)). قالوا لا يا رسول الله!

فأجابها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بلطف قائلاً: ((انصرفي يا أسماء، وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته، وإتباعها لموافقته تعدل كل ما ذكرت)).

وانصرفت المرأة مستبشرة بمقالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فالأجر متساوي وإن اختلفت الوظيفة.^(١)

موقف وعبرة:

إن الجميع أمام التكليف الإلهي متساوون، وكل من موقعه، ولكن إذا حصل تقصير في بعض الجوانب، من البعض، يصبح لزاماً على الآخرين القيام بذلك التكليف، لضمان الاستمرار وعدم توقف عجلة السير المقدس. وكما جاء في الرواية، عن آخر الزمان (أن النساء ترتدي زي الرجال.....) (أي يقمن بدورهم إن قعدوا).

(١) الميزان العلامة الطباطبائي/ ج ٤ / ص ١٢١.

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حروب الرسول

ومن الجوانب المهمة في حياة الرسول العظيم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هو جانب الكفاح المسلح، الذي لم يفترق عن الممارسات الرسالية، التي دأب عليها. حيث صوره احدهم بقوله: (إن الرسول لنور يستضاء به، وصارم من سيوف الله مسلول)

فكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يتعدد في الأساليب وحسب الظروف والمواقف، وذاك ما نادى به القرآن الحكيم، ولا حرج في ذلك. فمن زاوية يقول تعالى: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.....) (وفي آية كريمة أخرى يقول: (..... يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين.....) .

إذ كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يجيش الجيوش ويؤلف السرايا، بعد أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار قال " وليجدوا فيكم غلظة " أي تكونوا أشداء، فالغلظة هي الشدة في احلال النعمة. فكان يخوض الحروب، ويقودها بنفسه القديسة،

مع ما فيها من الخطر والعنف والحقد، الذي يحمله أعداءه. فلم يفت ذلك في عضده بل زاده إصراراً على نصرته الحق، وتحقيق إرادة الله تعالى. فواجه تجبر قريش وكبرياءهم وغرورهم، بتلك الثلة المؤمنة التي افتقرت للعدة والعدد، لكنها تسلحت بالإيمان واليقين بالرعاية الإلهية.

ولم تضعفهم جعجة آل أبي سفيان، وما تعرض له بعضهم من الإرهاب والتعذيب كآل ياسر. ولا ما ألمّ بهم من خسائر في ساحات الحرب والصراع (كاستشهاد الحمزة أو جعفر وغيرهم.....).

ولم يرهبهم ما كانت تخطط له قريش مع القبائل أو مع اليهود، بل كان الرسول يقابلهم بما يفسد خططهم، ويكشف نواياهم، ويسلح أصحابه باليقين بالنصر، وبسط النفوذ والثقافة الإسلامية.

وهناك توجه آخر في السياسة النبوية. فبعد معركة الأحزاب، بلغ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن محاولة تجري في الخفاء بين قريش ويهود خيبر لغزو المسلمين.

فقرر الرسول أن يهادن قريشاً ليفصلها عن اليهود أولاً. وليتمكن بعد الهدنة أن ينشر دعوته بين العرب من غير قريش ثانياً.

فوقع مع قريش معاهدة، كان لها أعظم الأثر في مسيرة الإسلام التاريخية، حيث أعطت فرصة للمسلمين، لتبليغ دعوتهم إلى غير قريش، من سكان الجزيرة، والتفرغ لبناء دولتهم وتقويتها.

وكان من ثمرات تلك المعاهدة، تفرغ المسلمين لمواجهة اليهود، وتجلى ذلك بغزوة خيبر، التي تمت بعد عودة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الحديبية.

وهذه القضية من الأمور التي يجب أن يستوعبها المسلمون عند تعاملهم مع الأحداث؛ لأنها ظاهراً تعني تخليهم عن بعض المبادئ، أو استخدام وسيلة يرفضونها من غيرهم. إلا إنها بالواقع تعني ممارسة مبدأ تقديم الأهم على المهم عند تنازعهما بالمرتبة.

ولكن اضطربت العلاقات بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقريش، بعد أن خرقت قريش معاهدتها مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونقضت تعهداتها.

فجهز جيشاً من عشرة آلاف مقاتل، وسار به سراً لمباغطة قريش. وتمكن جيش المسلمين من بلوغ مكة ومحاصرتها دون علمهم. واستخدم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الحرب النفسية في هذه الغزوة، حيث أشعل النيران في الصحراء على مقربة من مكة - وهذا أيضاً من الأساليب التي يجدر بالمسلمين أن يتقنوها ببراعة - ليشعر قريشاً بقوة الجيش، ويثير الرعب في نفوسهم، ويحملهم على الاستسلام والخضوع من غير قتال. وقد تحقق النصر الكبير، ودخل المسلمون مكة فاتحين منتصرين من غير قتال، ولا سفك دماء. وهكذا انهارت أعظم حصون الشرك والجاهلية بعد صراع عنيف، وتحقق الفتح المبين.

وبعد عودة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة، تواردت الأنباء، عن أن الروم يعتزمون غزو الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية. فقرر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يصددهم بنفسه، وسار جيش المسلمين وكان تعداده ثلاثين ألفاً، حتى بلغ تبوك، على الحدود الفاصلة بين بلاد العرب والدولة الرومانية. فخاف الروم من جيش المسلمين، وهربت قواتهم إلى داخل حدودهم قبل وصول الجيش بأيام.

موقف وعبرة:

بهذا يتضح، انه يجب أن يكون المسلمون بالطليعة دائماً، ويكونوا حاضرين في كل الميادين، وان يعوا ما يدور حولهم، ويضعوا حساب لكل ما يمكن حدوثه، وان تكون العلاقات مع الغير، بما يضمن السيادة والاستقلالية. مع التأكيد على بقاء الثوابت، والحفاظ على قدسيته من المساس، واعتبار ذلك مما تهون دونه الحياة.

تنصيب الولاة وعزلهم ومحاسبتهم

وبعد ان اتسع نفوذ تلك الدعوة، وامتد ظلها في الجزيرة العربية شرقاً وغرباً. كان لابد من نشر مبادئها الحقيقية، لكي تملأ الفراغ في النفوس آنذاك والتي كانت ممتلئة بأدران الجاهلية. فشرع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بحملة توعية اجتماعية واسعة، بين الرجال والنساء، وفي جميع الأنحاء لتطهير الأنفس والأبدان، ولتوحيد الصفوف وتكوين قوة لحماية الدعوة الفتية. فجعل لكل بلد والياً يدير الأمور فيه، ويرجع اليه الناس في أمورهم العامة والخاصة.

ويقوم بالنيابة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وفق الشريعة الإسلامية. واستحصال الخراج وإعطاء المحتاج، وتوفير معاش الناس وأمنهم. وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) حريصاً كل الحرص على تحقيق العدالة والمساواة، داعياً إلى رفع الظلم والحيث من المجتمع، وكان يتابع أخبار ولاته، ويسمع شكوى الرعية فيهم. فلا تأخذه في الله لومة لائم.

وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شديد الفحص عن سيرة الولاة، فإذا رأى والياً تشتكي منه الرعية لسوء إدارته أو أخلاقه بادر إلى عزله، وقد عزل العلاء بن الحضرمي عن البحرين؛ لأن وفد عبد القيس شكوه، وولى مكانه ابان بن سعيد، وقال له: ((استوص بعبد القيس خيراً وأكرم سراتهم)).

وكان يحاسب على المستخرج والمصروف منه، وقد استعمل رجلاً من الازد على الصدقات. فقال الرجل: (هذا لكم، وهذا لي....). ولما سمع النبي كلامه تألم.

وقال له: ((ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولّانا الله، فيقول: هذا أهدي لي! أفلا قعد في بيت أمه وأبيه فينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفسي بيده، لا نستعمل رجلاً على العمل مما ولّانا الله منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة إن كان بغيراً له رغاء وإن كان بقرة لها خوار وإن كانت شاة تمغر)).

ثم رفع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يديه إلى السماء وقال ((اللهم بلغته))، قالها ثلاث مرات.

مَوْقِفٌ وَعِبْرَةٌ:

وهنا أمر مهم لا بد من الالتفات اليه، وهو تعامل الولاة أو الحكام مع الرعية، أن يكون وفق المنهج الإسلامي المحمدي. لا أن يكون وسيلة للوجاهة والكسب الحرام والثراء الفاحش. وان تكون للحاكم أدناً تسمع شكوى المظلومين، وتوقف الظالم. وان يشعر أن هناك من يراقبه (لان من أمن العقاب أساء الأدب (كما تقول الحكمة)).

(صلى الله عليه وآله وسلم) من وصايا الرسول

ومن غرر وصايا الرسول للإمام علي (صلوات الله عليهما
وآلهما) هذه الوصية الذهبية:

((يا علي إن من اليقين أن لا ترضي أحد بسخط الله ، ولا تحمد أحداً
بما أتاك الله ، ولا تنذر أحداً على ما لم يؤتك الله ، فان الرزق لا
يجرّه حرص حريص ، ولا تصرفه كراهة كاره ، إن الله بحكمه وفضله
جعل الروح والفرح في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك
والسخط ، يا علي آفة الحديث الكذب ، وآفة العلم النسيان ،
وآفة العبادة الفترة ، وآفة السماحة المن ، وآفة الشجاعة البغي ، وآفة
الجمال الخيلاء ، وآفة الحسب الفخر . يا علي عليك بالصدق ، ولا
تخرج من فيك كذبة أبدا ، ولا تجترئن على خيانة أبدا ، والخوف من
الله كأنك تراه ، وابدل مالك ونفسك دون دينك ، وعليك بمحاسن
الأخلاق فاركبها ، وعليك بمساوئ الأخلاق فاجتنبها.))

المحتويات

- مقدمة لجنة البحوث والدراسات ٣ -
- الإهداء ٦ -
- الدعاء: ٧ -
- المقدمة: ٩ -
- الأسوة الحسنة^١ ١٣ -
- محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل خلق آدم (عليه السلام) ١٥ -
- أشباح نور حول العرش ١٨ -
- من خصائصه (صلى الله عليه وآله وسلم) ٢٢ -
- سماحته وحلمه (صلى الله عليه وآله وسلم) ٢٩ -
- حياءه (صلى الله عليه وآله وسلم) ٣٢ -
- قوة الإرادة ٣٣ -
- بشارات النبوة ٣٥ -
- أحمد في الإنجيل ٣٨ -
- الراهب بحيرا ٤٠ -
- الوحي ٤٣ -
- النبي الأمي ٤٦ -
- الدعوة السريّة ٥٣ -
- إسلام حمزة ٦١ -
- النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع القبائل ٦٣ -
- معرفة اللغات لإتمام الحجة ٦٧ -
- بيعة العقبة الأولى ٧١ -
- بيعة العقبة الثانية ٧٣ -
- إمرأة تمثّل النساء ٧٨ -
- حروب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وغزواته ٨٠ -
- تنصيب الولاية وعزلهم ومحاسبتهم ٨٥ -
- من وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ٨٨ -

طبع بموافقة المركز الإعلامي لمكتب
سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى
السيد الصرخي الحسني (دام ظله)

www.al-hasany.com



www.facebook.com/alsrkhy.alhasany

www.twitter.com/AnsrIraq

www.al-hasany.net

E-mail: info@al-hasany.net